مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(غلاطية ٣: ٢٣-٢٩؛ ٤:١-٥)

يا إخوةُ قبل أن يأتيَ الإيمانُ كنَّا محفوظين تحتَ الناموسِ مُغلَقاً علينا إلى الإيمانِ الذي كان مزمعاً إعلانه* فالناموسُ إذاً كان مؤدِّباً لنا يُرشِدُنا إلى المسيحِ لكي نُبرَّرَ بالإيمان* فبعدَ أن جاءَ الإيمانُ لسنا بعدُ تحتَ مؤدِّب* لأنَّ جميعكم أبناءُ اللهِ بالإيمان بالمسيحِ يسوع* لأنَّكم أنتم كلَّكم الذينَ اعتمدتُم في المسيحِ قد لبستم المسيح* ليسَ يهوديٌّ ولا يونانيٌّ. ليسَ عبدٌ ولا حرٌّ. ليسَ ذكرٌ ولا أنثى. لأنَّكم جميعكم واحِدٌ في المسيحِ يسوع* فإذا كنتم للمسيحِ فأنتم إذاً نسلُ إبرهيمَ وورثةٌ بحسَبِ الموعِد* وأقولُ إنَّ الوارِثَ ما دام طِفلاً فلا فَرقَ بينه وبين العبدِ مع كونِهِ مالكَ الجميع* لكنَّه تحتَ أيدي الأوصياءِ والوكلاءِ إلى الوقتِ الذي أجَّلهُ الآب* هكذا نحن أيضاً حين كنَّا أطفالاً كنَّا

القديسة كاترينا

تعيِّد الكنيسة المقدسة في الخامس والعشرين من تشرين الثاني للقديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا الكلية الحكمة التي اعتبرت ان حكمة أهل الأرض وفلسفتهم هما كلا شيء بالمقارنة مع حكمة الرب يسوع الذي هو نبع كل حكمة.

وُلدت كاترينا في أواخر القرن الثالث في مدينة الإسكندرية، عاصمة العلم والفلسفة والفنون في ذلك العصر. والدها كان من النبلاء الأغنياء جداً ما منحها فرصة أن تتابع الدروس مع أفضل معلّمي عصرها وفلاسفته. أظهرت كاترينا قدرة تفوق أبناء عصرها على استيعاب علوم الفلسفة والبلاغة والشعر والعلوم الطبيعية واللغات، فبرعت في جميعها ولمعت في حل المسائل الذهنية الغامضة والمعقدة وكانت لم تزل في الثامنة عشر من عمرها. كما تعرّفت على نتاج الفلاسفة أرسطو وأفلاطون وغيرهم ما مكّنها من مقارعة الفلاسفة لاحقاً.

إضافة إلى رجاحة العقل حباها الله بجمال خارجي وداخلي جذب الكثيرين نحوها. رفضت كل مَنْ تقدّم للزواج منها بحجة انها تسعى وراء من يساويها نبلاً وغنى وجمالاً وعلماً، ولأن إحساساً داخلياً بعظمة البتولية كان يخالج نفسها. احتارت والدة كاترينا من أمر ابنتها فقررت إرسالها إلى شيخ مسيحي قديس يقيم قرب الإسكندرية كي يرشدها. قال الشيخ لكاترينا انه يعرف رجلاً يتحلّى بالصفات التي تريدُها: حكمته تفوق كل وصف وهو مبدأ كل ما يُرى وما لا يُرى، وهو أنبل كل أهل الأرض لأنه يملك على العالم كله وقد خلق العالم بقدرته، وهو أجمل البشر لأنه الإله المتجسد، كلمة الآب الأزلي الذي صار إنساناً لخلاصنا، وعروسه هي النفس البتول. قال لها هذا وأعطاها أيقونة لوالدة الإله حاملة الطفل يسوع على ذراعها.

في الليل تراءت العذراء مريم مع الطفل يسوع لكاترينا، لكن الرب يسوع رفض أن ينظر إليها لأنها ملوثة النفس كونها ما زالت خاضعة للخطيئة والموت. اضطربت كاترينا، فقصدت في الصباح الناسك الذي أرشدها إلى الرب يسوع ولقّنها الإيمان وعمّدها. وفي الليلة ذاتها تراءت لها العذراء مع الرب يُشرق فرحاً وقابلاً إياها عروساً

العدد ٢٠٠٧/٤٧

الأحد ٢٥ تشرين الثاني

وداع عيد دخول السيدة إلى الهيكل

تذكار القديسة العظيمة في الشهيدات كاترينا الكلية الحكمة

والقديس الشهيد مركوريوس

اللحن الأول

مـتـعـبِّـديـنَ تـحتَ أركـانِ العـالـم* فـلمَّـا حـانَ مِلءُ الـزمـانِ أرسـلَ الـلـهُ ابـنَـهُ مـولـوداً مـن امـرأةٍ مـولـوداً تـحت الـنـامـوس* ليفتديَ الذين تحتَ الناموس لننالَ التبني.

الإنـجيل

(لوقا ١٨: ١٨–٢٧)

في ذلك الزمان دنا إلى يسوعَ إنسـانٌ مـجـرِّبـاً لـه وقائلاً أيُّها المعلّمُ الصالحُ مـاذا أعـمـلُ لأرثَ الـحـيـاةَ الأبـديَّـة* فـقـال لـه يسوعُ لماذا تدعوني صالحاً وما صالحٌ إلاَّ واحدٌ وهو الله* إنَّك تعرِفُ الوصايا لا تزنِ. لا تقتلْ. لا تسرِقْ. لا تشهَدْ بـالـزور. أكرِمْ أبـاك وأمَّك* فقال كلُّ هذا قد حفِظْتُهُ منذُ صبائي* فلمَّا سمِعَ يسوعُ ذلك قال له واحدةٌ تَعوزُكَ بعدُ. بِعْ كلَّ شيءٍ لك ووزِعْهُ على المساكين فيكونَ لك كـنـزٌ فـي الـسـمـاءِ وتـعـالَ اتـبـعْـنـي* فـلمَّـا سمـعَ ذلك حزنَ لأنَّه كان غنياًّ جداًّ* فلمَّا رآهُ يسوعُ قد حزِنَ قال مـا أعْسَرَ على ذوي الأموالِ أن يدخلوا ملكوتَ الله* إنَّه لأسهلُ أن يدخلَ الجملُ في ثَـقَـبِ الإبـرةِ مـن أن يـدخلَ غـنـيٌّ مـلـكـوتَ الله* فـقـالَ السامِعون فمَن يستطيعُ إذاً أن يـخـلُـصَ* فـقـال مـا لا

نقيّة. ولإبرام هذه الخطوبة السماوية وضعت والدة الإله خاتماً في إصبع كـاتـريـنـا الـتـي وعدت بـأن لا تـقـبـل زوجاً على الأرض.

بـعـد فـتـرة قَـدِمَ الإمـبـراطـور مـكـسـيـمـيـانـوس (٣٠٥–٣١١) إلى الإسكندرية، وكـانت الـعـادة تقضي بـأن يـقـدِّم الشعب الذبـائـح الـوثـنـيّـة علامة لخضوعهم للإمبراطور ومَن لا يفعل يتعرّض للتعذيب والموت. رفضت كـاتـريـنـا تـقـديـم الـذبـائـح ووقفت أمام الإمبراطور مبيِّنة بطلانَ عبادة الأوثان وان هناك إلهاً واحداً هو خالق كل الموجودات. كما طلبت أن تـواجـه فـلاسـفـة الإمـبـراطـور لكي تحاورهم. أُعجِب الإمبراطور بجمال كاترينا وظن انه يستطيع استمالتها ليحظى بها، فأمر بأن تحصل هذه الـمـواجـهـة. اجـتـمـع مـئـة وخـمـسـون فيلسوفاً وحكيماً لمواجهة كاترينا الـمـشـرقـة بـنـعـمـة الـروح الـقـدس. جـادلـتـهـم وحـاورتـهـم وبـيَّـنت لـهـم أخطاءهم من خلال كتابات بعض الفلاسفة الذين بشّروا بطريقة غير مباشرة بتجسّد ابن الله وآلامه. كما بيّنت لهم كيف ان العالم خُلق من العدم وان الإنسان أُعتق من الموت بـتـجـسّـد ابـن الـلـه الـوحـيـد. اعـتـرف الـفـلاسـفـة بـهـزيـمـتـهـم وطـلبـوا أن يعتمدوا، فما كان من الملك الغاضب إلا ان أمر بإحراقهم. وكان هذا في ١٧ تشرين الثاني.

لم يقتل الملك كاترينا بسبب غـرامـه بـجـمـالـهـا. ولـمـا صدّتـه أمر بسجنها وتعذيبها وغادر في رحلة خـارج الـمـديـنـة. فـي الـغـد حـضـرت زوجته مع ضابط اسمه بورفيريوس ومئتين من الجند لزيارة كاترينا، فبشّرتهم وصاروا كلهم مسيحيين. عاد الملك فصعق لأمر اهتداء زوجته والجنود، فأمر بقطع رؤوسهم جميعاً.

عـاد وحـاول استمالة كاترينا، ولما لم يلقَ تـجـاوبـاً أمَرَ بـتعذيبـهـا. فـابتدع دولاباً شُحنت دائرته بسكاكين حادّة ومرّره على جسد كـاتـريـنـا لـيـتـمزّق. تكسر الدولاب بقدرة الرب. عندها أمر بقطعِ رأسها، فنفّذ الأمر فيما كانت تصلّي، في ٢٥ تشرين الثاني. ويقول التقليد ان ملاكين حضرا وحملا جسدها الطاهر إلى جبل سيناء إلى أن اكتشفه ناسك في القرن الثامن. وما زالت رفاتها في دير القديسة كاترينا في جبل سيناء تفيض طيباً واشفيَّةً للجميع. فبشفاعتها ألّلهم ارحمنا وخلّصنا آمين.

حول الرسالة

يعالج القديس بولس الرسول في هـذا الـمـقـطـع مـن الـرسـالـة إلى أهل غـلاطـيـة كـمـا فـي مـقـاطـع أخـرى ورسـائـل أخـرى إشـكـالـيـة الـتـبـريـر والخلاص. السؤال الذي كان يُطرح بعد تجسّد المسيح وقيامته وصعوده إلى السماء يـتـعـلّـق بـالـخـلاص الذي حققه الرب يسوع: «لأنَّه لم يُرسل اللهُ ابـنـهُ إلـى الـعـالـمِ لـيـديـنَ الـعـالـمِ بل ليخلُصَ به العالم» (يوحنا ٣: ١٧). إذاً الغاية من كل ما فعله الرب يسوع هو خلاص الإنسان. لكن ليتحقق هذا الـخـلاص هـل يـنـبـغـي أن يـحـفـظ الإنـسـان الـنـامـوس الذي كـان سـائـداً في العهد القديم أم يكتفي بالإيمان بإبن الله وبحفظ وصاياه؟

يأخذ الناموس بحسب الرسول بولس صورة المربّي والمؤدّب الذي يحفظ الإنسان وينمّيه حتى يسلّمه إلى المعلّم أي المسيح. هكذا يعامل الله الإنسان كما يعامل الأب ولده. فحين يكون الإبن طفلاً صغيراً يربيه أبوه عبر تعليماته وأوامره ولا يعطيه حرية كاملة لأن الطفل لا يدرك ماذا

يُستطاعُ عند الناسِ مُستطاعٌ عندَ اللهِ.

تأمل

لنفكر أننا أعضاء المسيح. أهناك ما هو أسمى وأجدى من هذا التفكير؟ عندما تسود هذه الأفكار المبهجة على نفوسنا يزداد الشوق الأزلي فينا ولن تجد الأفكار الشريرة سبيلاً إلى نفوسنا. عندما نفكر بإحسان المخلّص العظيم يزداد شوقنا نحو المحسن الأزلي ويصبح كثير الوهج وبهذه المحبة للرب نصبح بسهولة فعلة لوصاياه. «من أحبّني حفظ وصيتي» (يو ١٤:١٥).

عندما نفكر بأننا أعضاء للمسيح يستولي علينا الشعور المدرك الكامل بالمنزلة الكبرى التي سمونا إليها وهكذا لن نسلم نفوسنا إلى الخطيئة ولن نقبل أن نخدم العاصي والعبد الضار، الشرير، ولن نفتح فمنا عندما نفكر بأننا مدعوون إلى الملكوت السماوي كأعضاء للمسيح ولن نترك لساننا يرشق الكلمات الشريرة. أيمكننا أن نجعل فمنا آلة للخطيئة إذا فكرنا ان المخلّص قد صبغ لساننا بلون الأرجوان بمناولتنا لدمه الكريم المقدس؟ أنجيز لأعيننا وهي التي رأت جسد ودم المخلص ان

يفيده وينفعه وليس لديه بعد ملء المعرفة بأمور الحياة. ولكن حين ينمو الطفل ويكبر ويصبح رجلاً ناضجاً يعطيه أبوه حريته لأنه امتلك المعرفة والإدراك اللذين يؤهلانه لاختيار ما يناسبه. عندما ينضج الإنسان ويأخذ حريته صحيح أنه لا يعود يتلقى الأوامر أو الوصايا من أهله ولكن هذه الوصايا لا تختفي وتزول بل تبقى محفورة في قلبه وهذا ما يُسمَّى التربية التي ينالها الإنسان.

على شبه ذلك تصرّف الله مع البشر الذين حين كانوا أطفالاً في الإيمان أعطاهم الناموس والوصايا تربيةً لهم، وعندما نضجوا أرسل لهم ابنه الوحيد الذي من خلال الإيمان به حصلوا على الخلاص. ولكن ذلك لا يعني أن الناموس أُلغي مع مجيء المسيح لذلك قال الرب يسوع نفسه: «لا تظنُّوا أنّي جئتُ لأنقضَ الناموسَ أو الأنبياءَ، ما جئتُ لأنقُضَ بل لأكمِّلَ، فإنّي الحقَّ أقولُ لكم إلى أن تزولَ السماءُ والأرضُ لا يزولُ حرفٌ واحدٌ أو نقطةٌ واحدةٌ من الناموسِ حتى يكونَ الكلُّ» (متى ٥:١٧-١٨). إذاً مع مجيء المسيح الذي هو المعلّم للناضجين يتكامل عمل المعلّم مع عمل المؤدّب أو المربّي للأطفال الذي هو الناموس، بالتالي مَن يعيش الإيمان بالمسيح ويحفظ تعاليمه لا يعود بحاجة إلى مَن يذكّره بالناموس لأنه يحققه تلقائياً.

في الأساس وُضع الناموس والوصايا للعبيد لأنّ العبد لا يعلم مشيئة سيّده ولا ينفذها بإرادته أما الإبن فلا يحتاج إلى أوامر ووصايا لأنه يعرف مشيئة أبيه وينفذها من تلقاء ذاته. عندما تجسّد المسيح، أتّحدَ طبيعته الإلهية بطبيعتنا البشريَّة وأعطانا الإمكانية إن آمنا به أن نتحد به وبالتالي نصبح نحن وابن الله واحداً أي نصبح نحن أبناءً لله. على هذا كل من يؤمن بالمسيح يتحرَّر من الناموس لأنه أصبح إبناً لله ويعرف مشيئته ويحفظها بملء إرادته.

كيف يصبح الإنسان إبناً لله؟ من خلال المعمودية يلبس الإنسان المسيح ويصبح الإنسان مسيحاً، وليس هذا فقط بل لا يعود هناك فرق بين البشر لأن الكل يصبح على صورة المسيح ويصبح المسيح هو الكل. هذا هو الاتحاد الأقصى الذي أُهِّلنا له بحيث يتحد الإنسان بالله وبأخيه الإنسان. هذا الاتحاد هو عودة إلى ما كان عليه الإنسان في الفردوس. نتيجة خطيئته خسر وحدته مع الله ومع الآخر ومع نفسه إذ انقسم على ذاته. أما الله فلم يترك الإنسان بل بقي يعتني به ويربّيه إلى الحين الذي أرسل فيه ابنه الذي وحّد الكل فيه ورفع الإنسان من العبودية إلى البنوة.

يتحدَّث بولس الرسول في مكان آخر من الرسالة عن الحرية: «فإنَّكم إنَّما دُعيتُم للحريَّةِ أيُّها الإخوة، غيرَ أنَّه لا تُصيِّروا الحريَّةَ فرصةً للجسدِ بل بالمحبَّةِ اخدُموا بعضُكم بعضاً» (غلا ٥:١٣). هناك خطر في الحريَّة التي حصلنا عليها من المسيح إن أسأنا استخدامها، وهذا ما يحصل كثيراً في عصرنا هذا إذ يقول البعض أننا بالإيمان وبيسوع المسيح تحرَّرنا من الناموس ويطلقون العناء لأهوائهم ولا يعودون يتقيَّدون بأية وصية بحجة أن الله محبَّة وسيغفر لهم. إن الله يقدر فعلاً أن يغفر خطايانا بمحبته ولكنه لا يستطيع أن يتخطى حريَّتنا، فنحن إن آمنا بالله حقاً وأحببناه علينا أن نترجم هذه المحبّة وهذه البنوّة له من خلال حفظنا لوصاياه: «الذي عندَهُ وصاياي ويحفظُها فهو الذي يُحبّني، والذي

تجول في الأماكن المسببة للخطيئة؟ إذا حافظنا على تفكيرنا حياً بأننا أعضاء مكرّمة للمسيح تحوى، كقارورة، دم السيد أو بالأحرى كل السيد، فلن نحرك أرجلنا ولن نمد أيدينا إلى ما يسبّب الخطيئة.

انـنا أعضاء للمسيح والمسيح في داخلنا. ليست الوحدة التي لنا مع ثيابنا وجلدنا وعظامنا كالوحدة التي لنا مع المسيح، مع رأسنا الروحي ونحن أعضاؤه. يستطيع المرء أن يجرّدنا من ثيابنا قسراً عنا. يمكنه أن يجرّدنا من أجسادنا. أما عن المسيح فلا إذا لم نرد نحن. لا يستطيع ذلك لا إنسان ولا شيطان. «أيقنت انه لا موت ولا حياة، لا رؤساء ولا قوّات، لا حاضر ولا مستقبل، لا علو ولا عمق، لا خليقة أخرى تستطيع أن تفصلنا عن محبة المسيح يسوع» (رو ٨: ٣٨-٣٩). ان الشهداء هم البرهان. لقد انتزع الشيطان بيد الجلادين أحشاءهم وسلخ جلدهم وفصل أعضاء أجسادهم وسحق عظامهم لكنه لم يتمكّن أن يبعدهم بكل ما لديه من أحابيل عن المسيح. كان عمله مشجعاً لهم في إيمانهم وجاء بنتيجة معكوسة فالتصقوا به التصاقاً أوثق ومكّن وحدتهم به وجعلها وحدة مستمرة إلى الأبد.

يُحبّني يحبُّه أبي وأنا أحبُّه وأُظهر له ذاتي» (يوحنا ١٤: ٢١). قد يقع من يحب الله في خطيئة ما لأن الإنسان ينمو في المحبَّة ولا تكون دائماً محبّته كاملة وذلك يتطلَّب حياة توبة ورجوع إلى الله، أما أن يستغل الإنسان الحرية المعطاة له في الإيمان لكي يحيا حسب أهوائه فقط ويبتعد عن حياة الله فهذا يعني أنه لا يحب الله ويستخدم الحرية المعطاة له لكي يبقى عبداً لأهوائه دون أن يصبح إبناً لله.

ختاماً نذكّر أن المسيح بتجسده رفعنا من مرتبة العبيد إلى مرتبة الأبناء بالتبني بيسوع المسيح وهذا يدفعنا إلى شكر الله دائماً على هذه النعمة وإلى التيقظ دائماً لئلا نستخدم الحرية المعطاة للأبناء في سبيل العيش تحت نير عبوديَّة الخطيئة.

عيد البار بورفيريوس الرائي

بمناسبة عيد أبينا البار بورفيريوس الرائي يترأس سيادة راعي الأبرشية المتروبوليت الياس خدمة صلاة الغروب عند السادسة من مساء السبت ١ كانون الأول ٢٠٠٧ في كنيسة أبوينا البارين أنطونيوس الكبير وبورفيريوس الرائي في دار المطرانية وخدمة القداس الإلهي عند التاسعة والنصف من صباح الأحد ٢ كانون الأول في كاتدرائية القديس جاورجيوس.

من أقوال البار بورفيريوس الرائي

يجب ألاّ يخيفنا الموت. ليس هناك شيء مخيف. إنّه الباب الذي يُجيزنا إلى الأبديّة. طبعاً، يجب أن نتهيّأ، وأن نعيش بدءاً من هذه الحياة، بطريقة ما، بالقرب من المسيح لكي نوجد مباشرة إلى جانبه عندما نصل إلى الحياة الآتية. كلنا نعرف أنّه لم يأت أحدٌ إلى هذه الأرض ليعيش أبديًّا. أمّا في الفردوس، فحياتنا أبديّة. هناك سنكون كلّنا معاً قدر ما نحبّ المسيح، وسنعيش بفرح روحيّ.

ذات مرّة رافقني أحدهم من البطريركيّة، وكنا نتحدّث عن الصلاة. فسألته ما يلي:

– لماذا يوجد طروبارية للأموات في خدمة صلاة تقديس الماء، فيما تُقام هذه الصلاة لتقديس بيوتنا وممتلكاتنا والناس الأحياء؟ والطروبارية تقول: «أيّها المخلّص، اعفُ عن نفوس إخوتنا المتوفّين على رجاء الحياة واصفح واترك لهم زلاّتهم». هل تستطيع أن تشرح لي سبب وجود هذه الطروبارية في خدمة صلاة تقديس الماء؟» فأجابني: «ذكر الأموات يجعل صلاتنا كاملة».

انها كلمات حكيمة، ونحن لا ندركها، بل نتلعثم بالصلاة غيرَ مدركين العناصر التي يجب أن تحويها صلاتنا، فنطلب إلى الله فقط من أجل ذواتنا.

لقد وهبنا المسيح عدم الموت. عيشوا المسيح فتسعدون. يجب أن نعيش في المسيح، وندخل إلى الكنيسة. ولكي ندخل إلى الكنيسة، يجب أن نموتَ عن الإنسان القديم. بعدها لن يكون للموت وجود، بل سنحظى بالحياة الأبديّة.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb